

الحرف اليدوية التراثية الشعبية الفلسطينية (صناعة الفخار)

دراسة ميدانية عن صناعة الفخار في شمال فلسطين

بلدة جبع - جنين

إعداد

د.حسن نعييرات

قسم الفنون التطبيقية
كلية الفنون الجميلة
جامعة النجاح الوطنية

مقدمة

من الحرف والصناعات الشعبية التي عرفت في فلسطين والتي تستحق ان نقف عندها ونتناولها بالبحث والدراسة لانها ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ وجود هذا الشعب فهي جزء من كيانه واصالته والتي سادت في اواسط القرن السادس عشر هي الفخار .

حيث ان الفخار او ما يسمى بالصلصال والذي ذكر بالقران الكريم في **سورة الرحمن** في اكثر من اية حيث قال تعالى في **اية 14** (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) وقال تعالى في **سورة السجدة اية 7** (خلق الإنسان من طين) وهكذا فان الله سبحانه وتعالى الذي خلق الانسان من طين فابدع خلقه وهداه الى استخدام الطين في كثير من القطع التي تلزمه في حياته, فقد بدأ الانسان بصناعة الفخار لان الحاجة ام الاختراع حيث ايجتاجات الانسان الى اوان واوعية لحفظ انتاجه من الزيت وكذلك لنقل الماء من العيون ولحفظه للشرب فقد بدأ الانسان بصناعته وتشكيله يدويا ثم بدأ باستخدام الدولاب البطيء ومن ثم الدولاب السريع. ورغم التطورات السريعة والتقنية المتقدمة في صناعة الفخار لم تختلف ابداء الصناعة اليدوية عن الصناعة الالية فقد ارتبطت الصناعة اليدوية بالاغراض المنزلية التي تحتاجها النساء , وقد استمرت هذه الصناعة حتى فترة قصيرة في بعض الأماكن التي اشتهرت في فلسطين, أما اليوم فقد بدأت تتطور هذه الحرفة التي عرفت منذ آلاف السنين كغيرها من الحرف التي كادت أن تختفي ثم بدأت تظهر مرة أخرى وأخذت تتطور تبعا لتطور ظروف الحياة وتقدم الحضارات والشعوب وهذه الحرفة التي كانت تقوم بها النساء كالحرف الأخرى مثل القش وحياسة القطن والصوف والتطريز وغيرها ومن الجدير بالذكر إن التراث هو ليس الطابع او الخصائص القومية بل هو اعلمق من ذلك فهو يعبر عن مجموع التاريخ المادي والمعنوي لحضارة معينة

منذ اقدم العصور فكثير من الحضارات التي حكمت المنطقة قد ولت إلا ان تراثها هو الوسيلة الوحيدة والبصمة المميزة التي اعطت لتلك الحضارات شخصيتها والتي استطعنا ان نستدل على عظمة هذه الحضارات من خلال مبانيتها الاثرية او اساطيرها المقولية التي وصلت اليها في تلك الفترة .
فالحديث عن التراث الشعبي الفلسطيني الأصيل يعطينا الأمل والعزة، ويتعريفنا على تراثنا نستنتج لأنفسنا المعرفة به وأن إحيائه والتعرف عليه يشكل للمستقبل قاعدة أصلية مبنية على أساس علمي معاصر لأننا لا نستطيع أن نعيش بلا أمس وإلا أصبحنا بلا غد فالحديث عن الحرف اليدوية التراثية الشعبية تعطينا الأصالة والدفئ القومي والنشوة.

أهداف الدراسة :-

لقد كانت هذه الدراسة بداية الطريق بالنسبة لي الذي أود أن أسير فيه حتى أساهم في الحفاظ على بعض هذا التراث والفن الذي يكتب له الضياع ان لم يهب الباحثين لجمعه ودراسته وتوثيقه, وإذا كان قد فاتني شيء في مثل هذه الدراسة فأرجوا أن أوفق في المرات القادمة في استنفاه والتعمق في دراسته, وحاولت في هذه الدراسة الميدانية أن أكتب أوثق بالصور كما رأيت وسمعت من أصحاب الشأن وهي محاولة أضعها بين يدي محبي هذا الفن والتراث لتكون كما قلت بداية الطريق للعمل في جمع هذا التراث وهو واجب مقدس من واجباتنا نحن كأفراد ينتمون إلى هذا الوطن ويعتزون بأنتمائهم إليه. لأننا نؤمن أن التراث والفن الشعبي الفلسطيني يشكل جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي العربي, وأنا نقدم تحية وتقدير لمن يقضون من وقتهم ساعات طوال في البحث والجمع والدراسة والتحليل لهذا التراث ليسلطوا الضوء على جوانب هذا التراث المختلفة والتي كادت أن تندثر لتبدو صافية نقية كصفاء أصحاب هذا التراث.

أهمية الدراسة :-

- تعود الدراسة إلى أهمية تعزيز الهوية الفلسطينية, فالهوية التي تجمع بين افراد الشعب او الامة التي لها تاريخ وماضي عميق ولها امجاد وثقافة يعبر عنها تراثها بما يحتويه من حرف وصناعات .
- لتعرفنا بالتراث وتقودنا إلى الاطلاع على عظمة التاريخ الموجود لدينا والى روعة الحضارات التي سكنت في مدننا والى الحرف اليدوية والصناعات التقليدية التي تمت صناعتها, بالاعتماد على المواد الخام الموجودة في المنطقة .
- لتربطنا بالتراث وبشكل أساسي بالمحافظة على جذورنا المتصلة في الارض, وهي دلالة على حقنا الشرعي في بلادنا, وبمعرفتنا به يكون

لدينا قدرة الدفاع عن اى محاولة لنسب التراث الذي لدينا الى اناس غرباء (الكيان الصهيوني).

- ليدفعنا إلى الاهتمام بالصناعات التقليدية والحفاظ عليها وتشجيع العمل بها مما يؤدي الى النمو الاقتصادي والحضاري الا انها تصبح معلما تجتذب السياح وبالتالي تادي الى رفع الدخل الوطني .

منهجية الدراسة :-

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي القائم على الحالة الدراسية . بالاضافة لبعض المشاهدات التي تمت من خلال إعطاء بعض الوصف للمكان المستهدف , والاتصال ببعض الاشخاص الذين لديهم الخبرة للمشاركة بهذا الموضوع , والمقابلات الشخصية , بالاضافة الى الزيارات لبعض الاماكن ذات الصلة بموضوع الدراسة .

الفخار عبر العصور :-

لقد عرف الفخار منذ أقدم العصور وكان موضع اهتمام الشعوب والحضارات كلها , وتعتبر الفخاريات مرجعا هاما من مراجع التاريخ , فقد صنع الإنسان الفخار من الطين المحروق وظهرت هذه الحرفة بناء على حاجة الإنسان ومتطلبات حياته البدائية وكانت كغيرها من الحرف التي تتطور تبعاً لحاجة الحياة اليومية وتقدم الحضارات وأبدعت فيها حضارة مصر القديمة والحضارة الصينية وحضارات أخرى والتي شكلت الهوية الشخصية لهذه الحضارات التي لن تستطيع كل تكنولوجيا العصر تزويرها لأنها أصبحت جزءاً منها ومرتبطة في أعماق جذورها .

وترجع أقدم النماذج التي عثر عليها إلى القرن التاسع الميلادي وكانت عبارة عن أزيار غير مطلية زخرفت بزخارف بارزة وبعناصر زخرفية مختلفة منها نباتية وهندسية تدور حول بدن وعنق الزير ثم أتقن المسلمون حرفة الفخار فبدأوا بحرقه وطلائه باللون الأزرق والذهبي وكانت الزخارف ترسم أو تحفر أو تخرم وأحياناً كانت هذه الوحدات تحرز .

وقد أقتصرت استعمال هذه الأواني على كبار رجال الدولة الأثرياء والذين اتخذوها بديلا عن الأواني الذهبية والفضية التي كانوا يستخدمونها في حياتهم .

وقد انتشرت صناعته في جميع الأقطار العربية والإسلامية وكانت مصر وبلاد الشام في مقدمة هذه الأقطار وخاصة أيام الفاطميين والمماليك وكان لكل عصر طابعه الخاص والمميز به وقد أنتج الخزافون المسلمون الجداريات والمحاريب والتحف والأواني المنزلية مثل الأباريق الصحن والأقداح وغيرها وكانت مزخرفة بوحدة زخرفية اسلامية مع ظهور التجديد والأبتكار على هذه القطع . وهكذا تبدو الأصالة والأبداع الفني في أنتاجها مع الأستفادة من مهارات وخبرات

الأمم السابقة. حيث أن صناعة الخزف والفخار أصبحت فن هاماً وتعد اليوم من الفنون التي أرتبط أسمها ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان, من هنا نرى اهتمام الإنسان بها فقد أنشأ لها معاهد ومدارس وجامعات تهتم بها وتدرسها لما لها من أهمية في تطور المجتمع بالإضافة إلى الحفاظ على هذا الأثر الذي ورثناه عن أجدادنا الموجودين في هذه الأرض المباركة أرض فلسطين منبع الفخار.

العوامل التي ساعدت في ظهور هذه الصناعة :-

إن انتشار أي حرفة وبقائها يجب ان ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود عوامل رئيسة تساعده في وجودها فالحاجة كما يقولون ام الاختراع من هنا فان كثرة الحاجة الى هذه الحرفة التي تنتج اواني مصنوعة من الفخار وتفضيلها على الاواني المصنوعة من المعادن والتي لا يمكن ان نستغني عنها لاسباب عدة جعل الانسان يقبل على الاهتمام بها ويجعلها كمهنة يمكن الاحتراف بها,ولكون المواد الاخرى التي تصنع منها هذه الاواني في تلك الفترة غير متوفرة وفي حالة توفرها تكون تكاليفها عالية, ونظرا للظروف الاقتصادية الصعبة التي كان يعيشها الشعب الفلسطيني فكر في انتاج ما يحتاجه من اواني منزلية باقل التكاليف وبابسط الوسائل مما دفعه الى استخدام الخامات المتوفرة في البيئة المحلية المحيطة به والتي كانت اول ما فكرت باستغلال هذه المواد المتوفرة في الطبيعة وتحويلها الى مواد يستفاد منها هي المرارة الفلسطينية والتي كانت تبتعد عن البذخ والترف في استعمال الخامات الغالية كالذهب والفضة والتي اسهمت في تطوير هذه الحرفة وشجعت الرجال على الاقبال للعمل بها وتطويرها شيئاً فشيئاً مع الروح الدينية السمحة التي يتمتع بها الدين الاسلامي الحنيف بعيدا عن التجسيم.

طريقة صناعة الفخار عبر العصور

تمر عملية صناعة الفخار في عدة مراحل سوف استعرضها فيما يلي:

أ - المرحلة الأولى:-

تحضير المواد الأولية:-



إن الخامات اللازمة للتصنيع كلها من الطبيعة وهي من الطين الذي يستخرج من الأرض ومن مناطق محددة وغالبا ما تكون مخلوطة مع مواد أخرى محلية تتكون من (الطين) الذي يستخرج من الأرض ومن أمكنة خاصة تدعى " بالمطابن " واحدة

تسمى بالزمهري وهو الأساسي في صناعة الفخار والأخر هو التراب الأحمر العادي الخالي من الشوائب وبنسب متساوية وغالبا ما تكون حبيباتها متماسكة رطبة إلى درجة ما غير أنها ليست منتظمة الشكل تماما تسمى كل قطعة بالبيوت، وتنتشر في مكان أعد خصيصاً لاستقبالها، حيث تترك في العراء معرضة لأشعة الشمس والهواء لتجف، ثم تنخل في منخل ناعم لتخلص من الشوائب وتنقع بالماء لمدة عام كامل في حوض يتسع لها ويكون لون الطين بعد الخلط أصفر مائل إلى الحمرة، كما هو في الشكل التالي.

الخامة الثانية :-

قطع الفخار المحطم:-



حيث يجمع من الأرض العراء وهو موجود بكثرة، ويوضع تحت حجر كبير يسمى (الجلّجال) يحرك جيئةً وذهاباً فوق قطع لتكسيرها وتفتيتها وتحطيمها وثم تنخل بالمنخل وتحفظ دقائقه الناعمة لوقت التصنيع وهذه الطريقة ليست شائعة الاستخدام كونها غير اقتصادية، كما هو في الشكل التالي.

الخامة الثالثة :-



عبارة عن روث البقر والحمير والجمال والأغنام وغيرها وهي تستعمل في عملية شواء الأواني بعد تصنيعها وتجفيفها عن طريق حرقها داخل التنور لتقوم بتسخينه كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً، كما هو في الشكل التالي.

ب - المرحلة الثانية:-

إعداد الجسم المصنوع وتشكيلة والأدوات المصنعة:-



بعد نقع الطين بالماء لمدة عام مع تحريكه بين وقت وآخر لتتخمر في الماء وتصبح كالعجينة الرخوة السهلة التشكيل والتحويل وأخذ منها قدر الحاجة ويعجن كما يعجن الطحين.

حيث تنماسك ذرات الطحين وتصبح أكثر ليونة وسهولة في التشكيل والتحويل تماماً كالمعجونة التي كان يستخدمها النجار في تثبيت ألواح الزجاج على النوافذ والأبواب.

عندما تكون الطينة جاهزة للتصنيع حيث يبدأ العمل في الأواني المطلوبة ما هي هذه الأواني؟ كان الحرفي يسعى لعمل ما يلزم من الأواني كي يستخدمها الفلاح وأسرته في حياتهم اليومية الخاصة والتي تتعلق بالطعام والشراب والاحتياجات الأخرى، كما هو في الشكل التالي.

ج - المرحلة الثالثة:-



التشكيل التجفيف والزخرفة:-

بعد أن تتم تشكيل وصناعة الفخار بواسطة الدولاب اليدوي وفي الفترة الأخيرة استخدم الدولاب الكهربائي، وبعد عملية التشكيل تعرض الأواني الفخارية في الهواء حتى تجف.

وبعد ذلك يتم شويها في التتور هو عبارة عن غرفتين: صغرى بداخل كبرى، مخصصة

لإشعال النار، وهي كثيرة الفتحات حتى يخرج منها اللهب. أما الكبيرة فهي مخصصة لوضع الفخار مرتباً بعضه فوق بعض. ويتم إشعال النار في الغرفة الصغيرة لمدة أربع وعشرين ساعة، وبعدها يسد باب التتور لمدة يومين، حيث تفتح "الروزنة" وهي فتحة في أعلى الغرفة الكبيرة ومنها يتم إخراج الفخار المشوي قطعة قطعة.

وكثيراً ما تنتشق بعض الأواني بفعل رطوبة الجو والحرارة الزائدة والهواء أو بسبب نقص في تركيبة المواد الخام فيأتي لهة الصانع وهو يحمل قطعه من الطين "مزيج" المصنع مع قليل من الماء في إناء، ثم يصنع قليل من الطين مع شيء من الماء ليملس المشققات من الأواني وهكذا وكأنه يقوم بعملية الحام لتلك الشقوق حتى ينتهي من استعراض جميع الأواني التي يكون قد صنع على سطوح المنازل، أو في حاكورة بعيدة عن عبث الصبيان والحيوانات والدواجن. وبعد أن ينتهي من صنع اللمسات الأخيرة على أجسام المصنعات جميعها، فقد يحتاج بعضها إلى الزخرفة التي غالباً ما تكون نقوشاً بالأصابع على أجسام الجرار أو عمل يدين لها خاصة الجرار والقعاقر المصل والسفل والعسلية وما إلى ذلك حتى ترك لبضعة أيام لتجف تماماً، يكون الصانع في هذه الفترة منهمك في جمع "الجلة" وتحضيرها. وقد كانت النسوة تسرح إلى الخلاء، لجمع "الجلة" من الأمكنة التي تسرح فيها قطعان البقر التي كانت تسمى "بالعجال" والتي يضمن رعيها أحد سكان القرية مقابل مقدار معين من الحبوب عن كل رأس يتقاضاه الراعي في وقت البيدر. فتجمع النسوة "الجلة" في أكياس وتنقلها على الحمير إلى المكان المعد للشواء، كما هو في الشكل التالي.

أنا فلاح غير الأرض ما أنبش
وبدي أهديك أنا إبريق منقوش
وعلى الكبابير صرنا اليوم ما أنقش
بفضة ومحلى بخيوط الذهب

د- المرحلة الرابعة:-

الشواء والحرق:-



بعد أن تتم عملية الجفاف والتأكد منها وحتى تصبح القطع صلبة وجاهز للاستخدام يتم شويها في التنور هو عبارة عن غرفتين: صغرى بداخل كبرى، الصغرى مخصصة لإشعال النار. وهي كثيرة الفتحات حتى يخرج منها اللهب. أما الكبيرة فهي مخصصة لوضع الفخار مرتباً بعضه فوق بعض. ويتم إشعال النار في الغرفة الصغيرة لمدة أربع وعشرين ساعة، وبعدها يسد باب التنور لمدة يومين. حيث تفتح "الروزنة" وهي



فتحة في أعلى الغرفة الكبيرة ومنها يتم إخراج الفخار المشوي قطعة قطعة.

أما الطريق الأخرى فهي الأقدم التي استخدمت في عملية الشوي فكانو يقومون بحفر حفرة عميقة تصل إلى 80 سم تقريباً، وعادة ما تكون دائرية الشكل بحسب كمية الأواني المزعم حرقها وتسمى "بالمشواة" حيث تغطي أرضيتها ثم تصف المصنوعات بداخلها صفاً مناسباً وتوضح بينها أقراص الجلة وتغطي من



الأعلى ومن جميع الجوانب بالجلة أيضاً بحيث لا يظهر منها شيء ثم تشعل فيها النار، وتكون الحفرة محاطة بالحجارة والتراب من الخارج وتبقى النار مشتعلة مدة كافية وهي لا تقل عن خمس ساعات تضاف خلالها الجلة، وكلما احترقت الجلة جيء بغيرها وهكذا حتى يشعر الصانع بأن القطع قد نضجت تماماً.

ثم تترك لصبوحة اليوم الثاني وفي الصباح وبعد

طلوع الشمس تبدأ عملية إخراج المصنوعات من المشواة بكل لطف خوفاً من التكسير ودليل

كونها "مشوية" يضرب عليها من الخارج فيسمع لها رنين حيث يقال "أنها بترن زي الجرس" ودليل رنينها الصافي هو الاستدلال على نضجها أولاً وعلى سلامتها من التشقق ويقول المثل الشعبي "اضرب على الفخار بيان عيبه" حيث يختلف رنين الأنية السليمة من الأنية المشققة أو التي لا تخلو من الكسور.

هناك صفة أخرى تبين نضوجها وعدمه، هو لونها



الأحمر الضارب إلى البياض عدم النضوج فيبدو في اللون الأسود في بعض أجزاء الجسم المصنوع أو جميعه، وفي هذه الحالة تهشم الأواني ويعاد تصنيعها من جديد باستخدام المادة الخام تماماً كما مرة أنفاً. ونادراً ما يحصل هذا في الأواني ولكن قد يصلح لبعضها... ويمكن إصلاح بعض الأدوات المشققة وخاصة الجرار بالجبص أو بالاسمنت حيث تغلق شقوقها، ويمكن استخدامها في حالة تعذر إصلاحها، لحفظ أشياء لا تتأثر بمثل هذه الشقوق كحفظ بعض الغلال أو الفواكه المجففة، كما هو في الشكل التالي.

هـ - المرحلة الخامسة:-

مرحلة التسويق:-



كانت المصنوعات الفائضة عن حاجة البلدة تحمل على الدواب وخاصة الحمير حيث توضع في "سحاحير" صناديق خشبية كبيرة وترسل إلى القرى المجاورة أو البعيدة فتباع غالباً بالمقايضة حيث تبذل كل أداة بملئها قمحاً أو عدساً أو ذرة أو شعيراً . وفي بعض الأحيان كانت تباع بالنقود. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو هل هذه كل ما كانت تصنعه النساء من الطين ! وللإجابة على هذا التساؤل نقول : تلك كانت المصنوعات التي تمر بالمراحل الخمسة هي ما كان يدخل في تصنيعها دقائق الفخار ومن ثم تتعرض للحرق والشواء وهناك أدوات أخرى أكثر أهمية مما ذكر بيد أنها تصنع بالطريقة نفسها ولكنها تخلو من إضافة دقائق الفخار إليها من ناحية ولا تشوى بالنار من ناحية أخرى بل يدخل في تصنيعها السدور المناقل والأقداح المصنوعة من القش، كما هو في الشكل التالي.

أنواع المصنوعات الفخارية:-

تصنع في بلدة جبع معظم أنواع الفخار اللازم لمتطلبات البيت الريفي كالجرار العسالي والشربات، والشمعدانات واواني خاصة بزراعة نباتات الزينة. إلا أن الأكثر أهمية هو صناعة الجرار وأباريق العرايس. وتستعمل الجرار للماء أو لحفظ الزيت ويقول المثل الشعبي "جرة جبعية" للزيت أقتنا جرة جبع" ومن الغناء الشعبي في مدح الجرة:

جبع مشهورة في زينة جـرتها والفندقومية لها بتشهد جارتها
وأقدامك عليها أن زرتها وجرتها بتفتخر بصنعها الذهب
أهل الخلق بتتخلى بخلقها ما تتعابش ولو رقت خلقها
الفاخورة الحرة من الطين خلقها الله وخلق آدم من تراب
يا حاكمنا لا تحكم ما أنت رب وغير يذكر خالقنا ما نظرب
وجرة جبع صنعت من تراب ونقشتها إلى العالم عجب

ومن قصيدة فرادية للشاعر الشعبي محمود جاسر من الفندقومية يقول:

وفيك يا جبع جرار مشهورة بصنعة الجرار
 لمن زرناهم على الدار فينا يزيدوا الترحيب
 لمن تشتري جرة كأنك حامل ذرة
 أو تشرب منها مرة لو أنك عيان تطيب
 لما العالم أروها بأغلى ثمن شروها
 غصب عنهم حبوها كل واحد إلها يجيب

ومن قصيدة أخرى لأبو الأمين البرقيني:

جرتنا لخرن الزيت أحلى منها ما أريت
 وزينة بتلقاها في البيت صنعتها شيء غريب
 الجرة الجبعية صنع الأيدي الأهلية
 جارتها الفندقومية منها نستورد ونجيب

الجرة:-



أو ربما يسميها بعضهم "الهشة" وهي إناء له بطن كبير وعروتان وفم واسع، وهي تشبه الأزيار بيد أنها أكبر حجماً ضخمة في جسمها وقد قيل في المثل الشعبي " طب الجرة على تمها بتطلع البننت لأمها". وكانت لا تصنع دفعة واحدة بل تصنع على مراحل في الصباح جزءاً منها ثم يعمل جزء آخر وقت الظهر وهكذا دواليك حتى يتم العمل وقد تستغرق مدة من الزمن تتراوح بين ثلاثة أيام إلى أسبوع تبعاً لطبيعة ودرجة جفاف الطين ويسمى كل جزء بعد إعداد القاعدة "دور" أو جرة حيث تقول الفلاحة: أنني "ذاهبة لأدير على هالجرار" أي أعمل جزءاً ثانياً وبما أنها دائرية الشكل فقد جاء قولها دور أو ديارة هذا القبيل. فهي لا تستطيع أن تقوم بالعمل دفعة واحدة لعدم استطاعة الطين "الأخضر" تحمل بعضه بعضاً. وبعد الانتهاء من العمل تجفف وقد تقلب على بابها حرصاً على الجفاف التام. وقبل أن تنتقل إلى "المشواة" تفقدتها الصانعة لتضع عليها اللمسات الأخيرة خوفاً من

ظهور تشقق أو ما إلى ذلك فتصلحها قبل الشواء. وهي تستعمل بعد شوائها في حفظ الماء البارد في فصل الصيف حيث ينقل الماء في "القرب" وهي جمع قربة وهي وعاء من الجلد ويفرغ الماء في الجرة. ومن مميزات أنها مسامية وترشح وهي بمثابة البراد عند الفلاح "الثلاجة"، كما وإنهم يستخدمونها أحياناً لخرن بعض المواد الغذائية كالطحين أو القطين أو الرصيع "الزيتون المكبوس" وما إلى ذلك، كما هو في الشكل التالي.

الخابية:-



ولعل اسمها قد جاء من كونها تستعمل مخبأ للغلال ويوجد أنواع منها الكبيرة التي تتسع لعدد من القناطير من الغلال ومنها المتوسطة ومنها دون ذلك. وكل نوع يستخدم لغرض معين هو عبارة عن تخزين الغلال بأنواعها المختلفة ولتخزين الفاكهة المجففة كالقطين من التين والزبيب من العنب والبندورة المجففة وغيرها. وقد تكون الخابية مقسمة إلى قسمين أو أكثر لها فتحة علوية يوضع منها المحصول للحفظ وفتحة جانبية لاستخراج الغلال منها وقت الحاجة ولها غطاء محكم من الطين أيضاً. والخابية بشكل عام تشبه الخزانة وتوضع في أحد أركان البيت. ويمر تصنيعها في عدة مراحل حيث أنها تدق في مكان سهل ويعمل لها أرجل يوضع فيها سيور من القش تؤخذ من " المناقل أو الأقداح" تحفظ توازنها وتزيد في مكانتها وتقويتها وهي لا تعمل دفعة واحدة بل يعمل كل جزء منها حتى تنتهي وتترك لتجف تماماً ثم ينقلها الرجال إلى داخل البيت بواسطة الحبال التي تلف حولها وتحمل إلى المكان الدائم . ويمكن أن تستخدم أصغر حجماً في حفظ الطحين وتكمن فائدتها في كون المخزونات لا تسوس فيها، لأنها ذات حرارة ثابتة في فصلي الشتاء والصيف، كما هو في الشكل التالي.

القادوس:-



وهو وعاء اسطواني الشكل له فتحة في أعلاه وأخرى في جانبه الأمامي حيث يستخدم لخرن الفواكهة المجففة ويمكن استخدامه في غرض آخر وهو كخلية للنحل ويسمى "قادوس نحل" وفي هذه الحالة لا تكون له فتحة جانبية، بل فتحات صغيرة لتمر منها النحلة في دخولها وخروجها حيث يترك غالباً مفتوحاً من أعلاه ويوضع فيه طرد النحل ثم يغلق بواسطة قطعة من الحديد المثقب وتثبت بواسطة لحمها مع جسم القادوس بالطين، كما هو في الشكل التالي.

الكانون :-



والموقدة وتستعملان في حفظ النار وإشعالها في فصل الشتاء أو للطبخ على "الموقدة" في الشتاء بواسطة الحطب، والكانون إناء مستدير ومرفع قليلاً عن الأرض بقاعدة لها فتحتان أو أكثر من الجوانب توضع فيها الفناجين والكاسات ويستخدم للتدفئة، بحرق الحطب بداخله أو بوضع الجمر فيه بعد حرقها في الموقدة. أما الموقدة فلها ثلاثة رؤوس حيث

توضع الطنجرة وتشعل تحتها النار وقت الطبخ ويقول المثل الشعبي " القدرما يركبش إلى على ثلاثة" والمقصود بها الرؤوس الثلاثة للموقد ويمكن الاستعاضة عنهما بالعراء وتوضع ثلاثة أحجار صغيرة تشكل موقداً أرضياً خاصة في أوقات الصيف، كما هو في الشكل التالي.

-:الصحون:-

بأنواعها فمنها الكبير ومنها الصغير وقد تسمى بأسماء ما يوضع بها من أشياء مثل:



1. **صحن العجين:** الذي يعجن فيه الدقيق وهو وعاء كبير أو صغير بحجم العائلة التي تستعمله في العجين لكفاية أفرادها من الخبز، كما هو في الشكل التالي.

2. **صحن الطبخ:** الذي يوضع فيه الطعام ومن مميزاته أن الطعام يبرد فيه **الزبدية:** وهي أكبر من صحن الطبخ وأصغر من صحن العجين وغالباً ما تستعمل للفتيت وهي تشبه ما يسمونه في نابلس "الدبسية" وفي منطقة القدس "الصينية" المصنوعة من الألمنيوم.

وتستعمل من قبل العائلات الكثيرة الأفراد حيث يكسب فيها الطعام ويصطف حولها أهل البيت لتناوله. ومن مزاياها أيضاً أن الطعام يبرد فيها بسرعة. ولما كان الفلاح يسرح من الصباح حتى المساء فيأتي وقد نقت ضفادع بطنه فلا يستطيع أن يصبر على الجوع فتراه يقدم على تناول الطعام بمجرد سكبه في الزبدية، كما هو في الشكل التالي.

-:المصل:-



هو إناء يشبه السمكة في شكله الخارجي بيد أنه مختلف عنه فقط بوجود قطعة اسطوانية في منتصفه توضع مؤخرة القدم عليها عند عملية الوضوء للصلاة ولعل اسمه قد جاء من كونه يستخدم للوضوء فسمي "بالمصل". وهو يستعمل مشرباً للدجاج والحمام والأرانب بالإضافة إلى حاجتهم إليه في الوضوء. ويبدو أن الحاجة الماسة لمثل هذا الإناء تكمن في كميات الماء القليلة ولتوفير ماء الوضوء لاستخدامه في حاجيات البيت الأخرى كسقي الحيوانات، كما هو في الشكل التالي.

-:السفل:-



وهو إناء كبير يشبه "الطشت" ويستعمل لنفس الغرض الذي يستعمل فيه، بالإضافة إلى كونه مكاناً مناسباً ومفضلاً لنقع الطين الخام وما شابه ذلك. كما كان يستعمل

لوضع القطين الخام أو ما شابه ذلك، كما كان يستعمل لوضع القطين أو الزبيب أو البندوره المجففة
ريثما تنقل لحفظها بمكانها الطبيعي في الخوابي أو الأكياس، كما هو في الشكل التالي.

القفقور:-



وهو إناء يشبه الزير تماماً بيد أنه أصغر منه
حجماً له عروتان وفم واسع وغالباً ما يستعمل للحلب
ولحفظ الزبدة والسمن واللبن الرائب أو الدبس أو
العسل أو غير ذلك.

العسلية:-



وهي تشبه القفقور غير أنها أكبر منه حجماً وأصغر حجماً
من الزير وتستخدم لحفظ الحليب ومشتقاته أو العسل أو الدبس، ونقل
الماء عن العين على رؤوس العذارى ولعل اسمها جاء من
استخدامها في حفظ العسل.

الإبريق:-

وهو وعاء معروف
ويستخدم في الوضوء وحفظ
الزيت أو الشرب منه في
الصيف وغير ذلك.

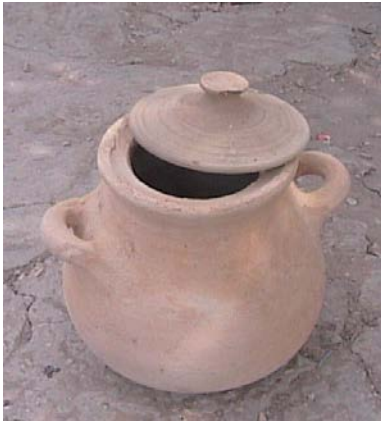


السراج:-



وهو وعاء صغير الحجم يبلغ حجمه راحة اليد أما شكله فهو مقعر وفي جانبه من أعلى حافته نتوء بارز تخرج منه "الفتيلة" ويستخدم في الإضاءة حيث يملأ بالزيت ويوضع غالباً في المزارات والأضرحة وقبور الصالحين حيث تنذر النساء بالإضاءة ليلة الجمعة عندما تتحقق ندورهن، وهي عادة مستهجنة ولكن لا تزال سارية المفعول عند بعض الأمهات الجاهلات اللواتي يؤمن بالشعوذة والتمائم.

القدرة:-



وهي وعاء يستخدم للطبخ على النار لها عروتان وفم واسع وحجم يتناسب وكبر العائلة وصغرها وهناك قرى في فلسطين قد تخصصت صناعتها الفخارية في هذا النوع من الأواني، كالخليل والجيب وجبع .

الكأس:-



وهو يشبه ما هو مصنوع من الزجاج بيد أو بدون يد ويكون أكثر سمكاً وأثقل وزناً منه. ومن مزاياه أن الشاي يبرد فيه بسرعة .

القور:-



وعاء مثقب من أسفله " قعره " يشبه الصحن الكبير
ويستخدم للطبخ " المفتول " حيث يعرم فيه بعد
تثبيته على الطنجرة المليئة بالماء، فينفذ بخار الماء
من الثقوب إلى المفتول فينضج المفتول ويطيية أكلة
في الشتاء وتعمل لها يخنيه من الدجاج واللحم.
وهناك أنواع أخرى من الأواني ولكنها ليست بذات
كالفناجين القهوة والمزهريات وغيرها، وجميع هذه
الأواني عرضة للكسر ولذلك قيل "لولا الكاسورة ما
عمرت الفاخورة "

أبريق العرايس:-



وهو أبريق عادي إلا أنه يتميز بأن له عشرة (زعايبب)، مغلق من
الأعلى وعلى شكل بطة أو عصفور، ويوجد له فتحة من الأسفل.
وهذه الفتحة عبارة عن عامود فخاري أسطواني في داخل الإبريق
مفتوح من الطرفين، وعندما نريد أن نملأ الإبريق بالماء، نقلبه
ونصب الماء من فتحة في القعر فينزل الماء من الفتحة الأخرى غير
المرئية في الداخل بتجويف الإبريق حتى يمتلئ، وتبقى الفتحة
الداخلية أعلى من مستوى الماء، وعندما نعيد الإبريق إلى وضعه
الطبيعي، لا ينزل الماء منه، لأن مستوى الفتحة الداخلية أعلى من
مستوى الماء. وقد سمي "أبريق العرايس" لأن العروس تحمله
وترقص به ليلة عرسها.

وكما يتغنى الشعراء الشعبيون بالجرار يغنون أيضاً بالأباريق:

أنا قلبي على المحبوب ابرق
وإذا بتريديني أني أبرق
من صنع ابلادنا بهديك أبريق
مزخرف يكون كزهر العشاب

أبو سامي الجبعي

أبريق العرايس جميل صدق ما له مثي—
بجماله الطرف الكحيل بالرقصة يبقى ترتيب

قحف الطابون:-



وعاء دائري مغلق من اسفل وله فتحة من الأعلى بحجم رغيف الخبز الكبير ويوضع في الحفرة ويوضع حولة الجلة التي يتم حرقها بالنار وتنتقل الحرارة الى الطابون الذي يوجد بداخله قطع صغيرة من الحجارة تدعى بالرظف والذي يشوى عليه الخبز , وله غطاء محكم من المعدن مع يد حتى يحتفظ بالحرارة في الداخل ويمنعها من التسرب إلى الخارج ويمنع دخول الرماد الى داخله، ولا يزال يستخدم حتى يومنا هذا في كثير من القرى الفلسطينية وأن الخبز المخبوز في الطابون من ألد أنواع الخبز كونه صحي حيث يشتهي المدني خبز الطابون كما يشتهي الفلاح خبز السوق أو يزيد.

كلمة أخيرة تلك بعض الأدوات التي تصنع من الطين غير المحروق وقد ذكرنا قبلها ما يصنع من الطين المحروق، هذه النماذج التي خلقها الإبداع الفطري الذي التحم فيه العقل والحس والفكر والشعور التحاماً متناسقاً ليوضح وبشكل جاد وهادف ليظهر كيف كانت المرأة الفلسطينية في ريفنا تقف إلى جانب الرجل تعمل بيديها لتكسب قوتها وقوت أطفالها من عرق جبينها مستغلة الخامات المحلية للبيئة التي عاشت فيها خاصة وأن الظروف الاقتصادية القاهرة التي عاشتها الأسرة العربية في القرون الخمسة الماضية، واستطاعت أن تتخطاها بظلمها وفسادها وقهرها وقد تحكمت بها "المرض، والفقر، والجهل" لتعتبر بحق نموذجاً فريداً للمرأة العاملة المفكرة. ناهيك عن أعمالها البيئية والحقلية الأخرى التي كانت تستنفذ معظم وقتها وجهدها لكنها لم تتفاسد، بل أدت واجبها على أكمل وجه، فهي والحالة هذه تستحق منا كل إعجاب وتقدير واحترام، وهي تمثل أصالة إنسانية كادت تطردها قشور زائفة من زخارف دخيلة لا خير فيها إلا لمعان زائف من بريق تافه تلك الأصالة الطبيعية التي أخذ يطاردها غول من دعايات هوج محمومة مغرصة لا خير فيها ولا إيمان. فسلام على طفولة تلك الحياة وسماحة البساطة التي كانت تشبع في النفس الطمأنينة .

نتائج وتوصيات :-

التعريف باهمية الفن والتراث الشعبي الفلسطيني في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية .

نرى مما سبق ان التراث الشعبي الفلسطيني مهدد بالانقراض والاندثار مما يعني ضياع للتاريخ والهوية الفلسطينية وتثبت مقولة اليهود (ان فلسطين ارض بلا شعب) لان اي شعب بدون ماضي وتاريخ ليس له وجود, وان التراث الشعبي الفلسطيني له اقوى دليل على وجود الانسان الفلسطيني في ارضه ,لذا لا بد من العمل على تغيير نظرة الانسان الفلسطيني لتراثه على انه عائق للتقدم والارتقاء بمستوى المعيشة والعمل على دمج مع احتياجات الحاضر لتخفيف الفجوة بين الماضي والحاضر الفلسطيني. وان المحافظة على التراث والاهتمام به لا بد ان يكون له بعدا وطنيا وبتشجيع المؤسسات الاهلية والحكومية والافراد على بذل جهودهم للعناية بهذا التراث والحفاظ عليه من الاندثار والسرقعة في

مختلف المدن والقرى الفلسطينية لضمان وجودنا واستمرارنا على هذه الارض المقدسة لان التراث الشعبي الفلسطيني في خطر حقيقي, وان لم ندرك ما يحدث له فسوف يواجه الفلسطيني مشكلة حقيقية في اثبات وجودهم على هذه الارض المباركة.

المراجع:-

- *السيد, وليد. يوم التراث العالمي ومهمات حماية التراث الفلسطيني 2\4\2008م, صحيفة الحياة اللندنية.
- *شعث, شوقي. مجلة التراث العربي, مجلة فصلية عدد 104, اتحاد الكتاب العرب, دمشق 2006م.
- *جودة, ديماء. ورق عمل عن اهمية الحفاظ على الارث التاريخي والثقافي الفلسطيني في (مؤتمر التراث والثقافة الى اين) جامعة القدس, المعهد العالي للآثار 2008م.
- *لندنر, ليديا. ورقة عمل عن صناعة الفخار اليدوية, مجلة التراث والمجتمع, مجلة فصلية عدد 24, مركز التراث الشعبي الفلسطيني, جمعية انعاش الاسرة 1994م.
- *قعوار, منجد. فلسطين التراث والهوية, بيروت, 1991م
- *حداد, منعم. التراث الفلسطيني بين الطمس والاحياء, مؤسسة بيسان للصحافة والنشر 1989م